

## الفصل الثالث

في الآثار<sup>(١)</sup> الإيجابية<sup>(٢)</sup> والمآخذ المترتبة على الوقف على الذرية  
وفيه ثلاثة مباحث

### المبحث الأول: الآثار الإيجابية للوقف على الذرية

لقد ارتبط الوقف الذري في حياة الواقفين بإحساسهم بأن المال يجب أن يسخر لما فيه خير ذرياتهم ونفعهم، ومن هنا كان للوقف الذري نتائج ودلائل كانت حصيلتها نفعاً وبراً لتلك الذرية في غالب الأحوال، وأدت الأوقاف الذرية دوراً مهماً في الحفاظ على الأموال، وكانت سبيلاً إلى دوام الأجر للواقفين على مدى الدهر، وأدت إلى استغناء كثير من الذراري الذين وقفت عليهم وسدت فاقهم وكتفهم عن الاستجداء وذل السؤال، ولعل أهم الآثار الإيجابية الناتجة عن الوقف على الذرية تظهر فيما يلي:

#### أولاً: الآثار الشرعية:

١- أن الله تعالى قد رغب في البذل والإنفاق، والرسول صلى الله عليه وسلم قد حث على التصدق وفعل المعروف، وبالوقف على الذرية يتحقق هذا الهدف الشرعي بالإنفاق على من هو في حاجة من العباد ورفع الضيق والحرج والمشقة عنهم، فكيف إذا كانوا هم ذريته إن الأجر يضاعف للصدقة والصلة، وقد وعد من يفعل ذلك بالأجر العظيم من الرب الكريم جل جلاله.

---

(١) الآثار : جمع أثر ، والأثر هو حصول ما يدل على وجوده ، والمأثرة هي المكرمة لأنها تنقل ويتحدث بها ، وأثرته بمعنى فضله ، والأثر هو العلامة واستأثر بالشيء ، أي استبد به ، ولعله المراد هنا والله أعلم الظواهر ، والدلائل والعلامات الإيجابية . انظر : المفردات للراغب ص ٥ ، المصباح المنير ١ / ٤ ، المعجم الوجيز ص ٥-٦ .

(٢) الإيجابية : أي النافعة .

٢- أن الإسلام يأمر بالأعمال التي تؤدي إلى الصلة والتراحم، والتكافل، والتعاون، وكل ما فيه خير وبر ومعروف للمسلمين عامة، وذلك متحقق في الوقف الذري خاصة بين ذرية الواقف وأسرته وأقاربه قال الله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾<sup>(١)</sup> ويتجلى ذلك في الوقف الذري عندما تتحلى أفراد الذرية بالتقوى والصلاح ومكارم الأخلاق وهو ما يجب أن يتصف به كل مسلم.

٣- أن الواقف في الوقف الذري يحقق منافع عديدة منها تحصيل ثوابه من الله تعالى في الآخرة، وبلوغ الغايات الخيرة التي تكون ذريته في حاجة إليها في الدنيا، وأراد الواقف سدها بوقفه، فيبقى له به ذكر حسن وقربي وإحسان لذريته الذين برهم بذلك الوقف<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: الآثار الاقتصادية:

١- أن في الوقف على الذرية حماية للمال، ومحافظة عليه من عبث العابثين كإسراف ولد أو تصرف قريب.

٢- أن في الوقف على الذرية ضمانا لبقاء المال، ودوام الانتفاع به مدة طائلة، وتنقل النفع فيه إلى الأجيال اللاحقة، مما يهيئ سبل العيش الرغيد لكل جيل من أعقاب الواقف وذرائه.

٣- أن الوقف فيه علاج لكثير من المشكلات الاقتصادية كالفقر، وقلة ذات اليد، والعوز والحاجة، فبالوقف على الذرية تتحقق للواقف فوائد اقتصادية عظيمة من أهمها دفع مشكلة الفقر عن ذريته، وتقوية الضعيف منهم، وسد حاجة المعوز والاحتاج، وفتح باب لاستغناء ذريته عن الآخرين، وتهيئة سبل الحياة الكريمة والعيش الرغيد لهم.

٤- أن الوقف على الذرية يحفظ رأس المال ثابتاً لا يجوز المساس به أو تغييره أو تبديله إلا وفق شروط معينة، تراعى مصالحه والمحافظة عليه، وبالتالي فإن الذرية يقطعون نتاج وثمار هذا الوقف مع بقاء عينه دون أن تتأثر تلك العين، وهذا النفع يستمر أزماناً متعددة ولأجيال متلاحقة.

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٢) انظر: أهمية الوقف وأهدافه للزيد ص ٦٩-٨٣.

٥- أن في الوقف على الذرية إيجاد فرص عمل مرتبطة بالوقف يشترطها الواقفون من أهمها نظارة الوقف، وقد تكون للواقف، أو للموقوف عليه، أو لشخص أجنبي يحدده الواقف أو تكون للقاضي.

٦- أن في الوقف على الذرية تقلباً وتدويراً لمنفعة العين الموقوفة من حيث تأجيرها، أو سكنها أو الجمع بينهما، وبالتالي تتحرك منفعة العين الموقوفة من الواقف إلى الموقوف عليهم إلى مستأجري ومستثمري الأوقاف في كل عام وفي أجيال متلاحقة.

٧- أن في الوقف على الذرية زيادة في دخل الموقوف عليهم من خلال توزيع الثروة الناتجة عن الوقف على الذرية، ومن ثم قدرتهم على الاستهلاك، وتلبية حاجاتهم الضرورية، وبالتالي عدم حبس الثروات في أيدي معدودة بل تنتقل إلى الموقوف عليهم جيلاً بعد جيل وفي أزمنة متطاولة<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: الآثار الاجتماعية:

١- إن الوقف على الذرية يحقق مبدأ التكافل بين الأمة المسلمة ويوجد التوازن في المجتمع، حيث قد جعل الله تعالى الناس مختلفين في الصفات متباينين في الطاقات والقدرات، فيقوى به الضعيف، ويعان منه العاجز، وتسد حاجة المعدم من غير إضرار بالغني ولا ظلم للقوي، وإنما يحفظ لكل ذي حق حقه بحكمة وعدالة خصوصاً عند جعل الواقف الوقف على ذريته بحسب الفريضة الشرعية لهم منه فتسود الأخوة، وتيسر سبل التعاون، والتعايش بنفوس راضية مطمئنة.

٢- إن الوقف على الذرية سبيل من سبل الترابط بين الأسرة الواحدة التي هي لبنة المجتمع الواحد، فبالوقف تدوم الصلة، ويتحاب الناس، وتسمو الهمم، وتتعاون الذرية الموقوف عليها على ما فيه نفعها، وبالتالي يبلغون الغايات الحيرة التي توخاها الواقف من وقفه على ذريته من تماسكها وترابطها.

---

(١) انظر الوقف كمصدر اقتصادي لتنمية المجتمعات الإسلامية للطفيل ص ٣٨-٤٣ أهمية الوقف وأهدافه للزيد ص ٧٨-٨٠.

٣- إن الوقف على الذرية ساعد في تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وعدم شيوع روح التذمر في الأسرة الواحدة كلبنة من لبنات المجتمع، وذلك من خلال عدالة التوزيع وتمكين الفقير من تحصيل حاجاته الضرورية ومتطلباته الأساسية في الحياة، وتمكين ميسور الحال من رفع مستواه في تحقيق أكمل حاجاته من خلال الربيع المخصص لكل منهم في الوقف الذري العائدة ثماره عليهم.

٤- إن في الوقف على الذرية إظهاراً لمبدأ التضامن الاجتماعي، وشيوع روح التراحم والتواد بين الذرية وبين الواقف، وبالتالي قتل لروح الأنانية المادية التي قد يتصف بها بعض الناس فيحرم أقرب الناس إليه وهم ذريته مما أفاض الله عليه من الخيرات ويصرفها إلى من أهم أقل حاجة وأضعف صلة به.

٥- إن في الوقف على الذرية تحقيقاً لما يسمى ظاهرة الحراك الاجتماعي في بنية المجتمع، وذلك من خلال انتقال ثمرة الوقف من الواقف إلى الموقوف عليهم، ومن ثم انتقالها من الموقوف عليهم في الجيل السابق إلى الموقوف عليهم في الجيل اللاحق، وقد مكن الوقف الذري الطبقي من تغيير طبقات المستفيدين منه، فساعد على تحسين المستويات الاقتصادية والعلمية والثقافية والصحية والاجتماعية في كل طبقة من طبقات الموقوف عليهم.

٦- إن في الوقف على الذرية تعزيراً لجانب أخلاقي وسلوكي هام في ذرية الواقف وهو بإغلاق أبواب الانحراف عنهم حيث يؤوي هذا الوقف النساء اللاتي طلقن حتى يتزوجن، والذين لا أعمال لهم ولا طريق لهم إلى الكسب فيغنيهم هذا الوقف عن تكثف الناس وسؤالهم فتنتقطع حاجة هؤلاء الذين قد تلجئهم الظروف الاقتصادية إلى سلوك دروب الانحراف بسبب الفقر والعوز والحاجة.

٧- إن في الوقف على الذرية إشاعة لروح التراحم بين الواقف والموقوف عليهم، وهذا يؤدي إلى مزيد من التماسك الاجتماعي، فالواقف شعر بحاجة ورثته فأثرهم بإحسانه، والموقوف عليهم قدروا لواقفهم شعوره بهم فأحسنوا به وأوفوا الدعاء له، فكان الوقف الذري طريقاً من طرق بر الأولاد بالدهم.

٨- إن في الوقف الذري رعاية اجتماعية لفئات خاصة من الذرية مثل الأيتام والمعاقين، والمساجين، وأسرهم، فالوقف يؤمن بأن أصحاب الحاجات لهم مصرف في وقفه، تطيب نفوسهم به، وتسد حاجاتهم من خلاله فيحصل به رعاية فائقة لهذا النوع من أصناف الورثة الذين هم في أمس الحاجة إلى الرعاية والاهتمام، والبر والإحسان<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: الآثار العامة:

١- إن استمرار الوقف الذري يسهم في استمرار الأوقاف الخيرية الأخرى. وبالتالي قد تنتشر الأوقاف المشتركة التي تجمع بين الوقف الذري والوقف الخيري، مما ينمي الدور الإيجابي لمؤسسة الوقف.

٢- إن نظام الوقف سواء كان ذرياً أو خيرياً الأصل في أموره أن تكون منضبطة والتصرفات فيه منوطة بأحكام الشرع، والقائمون عليه من النظار يحافظون عليه، ويتعدون عن العبث به، ويخضعون في تصرفاتهم ورعايتهم للوقف للمراقبة القضائية والمحاسبة حتى لا يدخل ذلك الوقف تبديل ولا يعتبر إلا بوجوه شرعية فليس فيه خروج ولا انحراف عن شروط الواقف الشرعية وأحكام الشرع المرعية.

٣- إن نظام الوقف بنوعيه نظام اجتهادي، فللواقف أن يجتهد في تحديد شروطه ومستحقه وصفاتهم وطبقاتهم، وناظره وشروطه، وهذه المرونة والاتساع تشجع الواقفين على الوقف وتجعل منه طريقاً من طرق البر والإحسان والصلة بالاحتاجين، وذلك يظهر بشكل واضح وجلي في الأقارب والذرية ونحوهم ممن يوقف عليهم.

٤- إن في أحكام الوقف الذري تكاملاً مع أحكام الميراث ومع أحكام الهبة والوصية وكلها أحكام فيها من البر والإحسان والصلة الدالة على سماحة الإسلام وعدالته ورغبته في العطاء والإنفاق في وجوه الخير والنفع.

(١) انظر : دور الوقف في دعم مؤسسات الرعاية والتأهيل الاجتماعي لعبدالله بن ناصر السرحان ص٢٣-٣١، أهمية الوقف وأهدافه للزيد ص٧٥-٨١ . أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للكبيسي ١/١٣٧-١٤١ .

وفي الجملة فإن الوقف الذري يحقق آثارا نافعة دينيا واقتصاديا واجتماعيا، وإن تأخرت هذه الآثار، أو انعدم بعضها فما ذلك إلا بسبب خلل قد حصل في صياغة كتاب الوقف من قبل الواقف فلم يضبط وقفه بشروط صحيحة ولا بمصارف عادلة، ولا بنظارة قوية أمينة، وذلك كله ليس عائدا إلى ذات الوقف، وإنما إلى الواقف أو إلى القائمين عليه، وهذا يعني أننا عند رغبتنا في جني ثمار الأوقاف الذرية اجتماعيا واقتصاديا بشكل صحيح لذا يجب علينا أن نضبطها بضوابط الشرع وأحكامه العادلة.

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: (لم نر خيرا للميت ولا للحي من هذه الحبس الموقوفة، أما الميت فيجزي أجرها عليه، وأما الحي فتحبس عليه ولا توهب، ولا تورث، ولا يقدر على استهلاكها)<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: المآخذ المترتبة على الوقف على الذرية

لقد عرضت في فصل سابق أحوال الوقف الذري في عدد من البلدان العربية والإسلامية، وتبين من ذلك العرض أن بلدانا اتجهت نحو إبطال الوقف الذري والمنع منه، وأخرى اتجهت نحو تنظيم وتقنين الوقف الذري والسبب يعود في تلك الدول إلى وجود مآخذ على الوقف الذري، ولعلي في هذا المبحث أحاول تلمس هذه المآخذ التي أخذت على الوقف الذري وهي خطيرة جدا لما ترتب عليها من إغلاء أو تقييد لهذا النوع من الوقف، لكن يمكن تلافيها وعدم الوقوع فيها بالاستعانة بالله والتوكل عليه، واتقلاء الله تعالى والإخلاص، واتباع أحكام الشريعة الغراء، والبعد عن الهوى والنوايا السيئة، والتصرفات التي لا تليق بمسلم مما فيه ظلم أو جور على الذرية أو الورثة.

ويمكن تلخيص تلك المآخذ فيما يلي:

#### أولا: الآثار الشرعية:

- ١- إن بعضا من الواقفين على الذرية يخالفون الفرائض الشرعية في المواريسث بجرمان بعض ذوي الفروض من فروضهم، أو إثارة بعضهم على بعض.
- ٢- إن بعض أحكام الوقف أحكام اجتهادية لم ترد منصوصة في الكتاب أو السنة، وإنما هي محل خلاف بين الفقهاء، فترى كل فقيه أو قاض في كل بلد يجتهد ويقرر من الأحكام ما يراه صالحا وموافقا لعرف ذلك البلد، وهذا يؤدي إلى عدم اقتناع بعض الذرية الموقوف عليهم بأحكام القضاة وآراء الفقهاء التي مصدرها الاجتهاد لا الدليل.

(١) تقدم ذكره وتخبره عند ذكر أدلة مشروعية الوقف .